عـــالـــم آخـــر

الســـلطان وشـوارع بغـــداد الخلفيـــة

▪ سرمد الطائي

كـم عراقيا "يتعـارك" مع نظيره من اجـل ٥ دنانير؟ كـم واحـدا يعيشـ علـى ٥ دنانـير في اليـوم؟ ماذا يأكلـون وكيف يمضـون يومهم. ان الـتردد اليومي علـى مؤسسـة المـدى منحنـي فرصـة الخـروج من "محبسـي" في الوزيريـة، حيث كنـت انغمس ١٤ ساعـة في اليـوم داخل عمل صحفـي مضن، فصرت اقطـع بغـداد طـولا وعرضـا واعيد اكتشـاف وسط المدينـة القـديم مـن شـارع الرشيـد حتـى شـارع السعـدون بكل مـا لتفرعاتهـا من تعقيـد اجتماعي وسياسي وانثروبولوجي، وأرى ما أرى.

ان هذه المنطقة تمثل "الشوارع الخلفية" لا للعاصمة فحسـب، بـل للعـراق كلـه. وانـا استنشـق في هذه الحواري، رائحة كل الشوارع الخلفية التي عرفت.. من عشار البصرة، الى "طوبخانة" طهران، و"داون تاونات" بيروت وعمان ودمشق.. وسواها. والفرق ان النماذج في العراق تختزن مأساة أكبر، تجعل من كل مواطن شاهدا حقيقيا على "سقوط حضارة".

هنـا عـدد كبير مـن افخـم بيـوت الشـرق الاوسط، مبنـي بطابوق من طراز بابلي، ومزين بكتل خشبية مصنوعـة بعنايـة، حفـرا ونقشا وتصميمـا، لم ينل منها الزمان الا خدوشا وشقوقا يسيرة. لكن الماضي الفخـم هذا، شوهـه الحاضر بمفارقة كبـيرة. وبدل ان يقطنـه ارقـى افـراد الاجتماع، صار نهبـا للطبقة المسحوقة. فالشرفات والشبابيك المنحوتة بالخشب والحجـر، تلتف عليها ملايين الاسـلاك الصاعدة من مولـدات الكهرباء، وتسودها مداخن المولدات ذاتها، والانكى ان الدكاكـين المقامة تحت افخم المباني، هي محلات للديكور تقدم لنا ديكورا صينيا عاديا وتافها احيانـا، وحـين تأتي لشـراء قطعة حديثـة سخيفة، تنظـر بحسرة الى شرفة منحوتة فوقها لا يمكن لاي مصمم حديث في العاصمة ان يضاهيها.

ومـا دون ذلـك، آلاف البشـر القادمين مـن ضواحي العاصمـة، يعيشـون بطريقـة غرائبيـة. تشـرب الشـاي قـرب دكة على الشـارع، فيأتـي عامل بسيط ليتخاصـم مع بائع الشاي هـذا: اطلبك ٥ آلاف دينار (٣ دولارات)، وإذا لم تسـدد فسأقـوم مـع اصحابي بإغـلاق دكتك فـورا. يصرفـه الرجل ويرفـع صوت جهـاز التسجيل الصادح بأغنيـة لناظم الغزالي. اما "العصابـة" التـي تتربـص به بسبـب ٣ دولارات، فتتجمـع عند دكة اخرى وترفع صوت جهاز تسجيل يصدح بقصيدة دينية.

تتقاطـع الالحـان وأبخرة "الحلولـو" والدهن الذي يغلي بالفلافل وباقي المأكولات، ويوفر غذاء رخيصا لآلاف العاملين في كل المهن.

وحـين زارنـا الكاتـب ذو الموهبـة الفـذة "مرتضـى كـزار" والمشغـول بفـن الروايـة العالميـة، لم نجـد افضـل مـن هـذا المـكان لاستضافته. اخذنـاه لمطعم على قارعة الطريق، حيـث يوجد ٤ كراسيّ للزبائن، بينمـا يعمل ٦ أشخاص علـى خدمتهم، وسط أبخرة المشـاوي والبيض المقلـي. قال مرتضـى: انه فطور "الواقعيـة السحريـة". هناك تسمـع ثرثرة الباعة حـول ازمـة طـارق الهاشمـي مـع المالكـي والمطلك، واسئلـة لا تنتهـي حول جـدوى الميزانيـة ذات المئة وعشرين مليـار دولار. كيف يمكن لهذا المبلغ الطائل ان يغير حيـاة ملايين العراقيين الذين يعيشون على "شواء الحلولو" وبيع بطاقات الرصيد والعلكة في تقاطعات المدن؟

لم أتعـود التوغـل في "العـالم السفلـي" هـذا، منـذ ٢٠ عامـا، يـوم كنت اعمـل "صانعا" لـدى مصلحي السيـارات أيـام المراهقة. لكنني مـع الزملاء نحاول هـذه الأيام العـودة الى اكتشـاف "العـالم السفلي" بوصفـه البيئة الاساسية التي يتلاعب بها السلطان، معيشـةً ومصائـرَ و أصواتـاً انتخابيـة. في هـذا المسـتوى البائـس من الانسحـاق الاجتماعـي، يتم التلاعب بخيارات الناس، والمساومة على اصواتهم، وشحنهم طائفيا واجتماعيا وسياسيا. وسيكون من السهل علـى ألف أمير حرب، ان يستخدم بؤس بشر يتقاتلون على ٣ دولارات، ويهددون بإغلاق دكة بيع الشاي اذا لم تستجب لطقوس "الشوارع الخلفية".

تناولنا فطـور "الواقعيـة السحريـة"، وسط دخان "الحلولو" ورائحة الخبز العراقي، وبعضنا اصيب بالتسمم نتيجةَ واحدة من الأكلات الغريبة على قارعة الطريق. لكن ما يشغـل المرء في مفارقات "الشوارع الخلفية" المؤلمة، هو سهولـة ان يتلاعب "السلطان" بهـذه الجمـوع المسحوقـة، ويحولهـا الى مشـروع لتدعيم سلطانه، ويستثمر غضبها وشعورها العميق بالتهميـش، ليثـأر من كل خصومـه.. في مدننا التي توحدها مظاهر بؤس وعـوز وحرمان متشابهة.. لا يعالجها حتى مليون جندي ينشرون سيطراتهم على طول البلاد وعرضها.

محاور وإثارات تقرير التنمية البشرية الوطني

الـشـبـاب فـي مـواجـهـة الـتـحـديـات

المؤتمر التمهيدي لانطلاق التنمية البشرية

يؤكد مصطلح التنمية البشرية على أن الإنسان هو أداة وغاية التنمية حيث يعتبر النمو الاقتصادي وسيلة لضمان الرخاء للمجتمع، وما التنمية البشرية إلا عملية تنمية وتوسع للخيارات المتاحة أمام الإنسان باعتباره جوهر عملية التنمية ذاتها أي أنها تنمية الناس بالناس وللناس.

على مدى يومي ١٥ و١٦ شباط تواصلت أعمال المؤتمر التمهيدي لانطلاق التنمية البشرية الثالث والذي حمل شعار(الشباب في مواجهة التحديات) الذي أقامته وزارة التخطيط وبالتعاون مع بيت الحكمة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي(undp)، المؤتمر قدم اثارات لأسئلة كامنة في بنية شريحة مهمة وهي الشباب، وهذه الاثارات توزعت على محاور عدة ، وأبعاد حاولت الوقوف على المعضلات التي تواجه الشباب ويمكن تصنيفها كما يأتي :

- **البعد السياسي**
- **البعد الاجتماعي**
- **البعد الاقتصادي**

□ بغداد/ ماجد طوفان

فيمـا جـاءت الإثـــارات الأخـرى ضمن مستويات أخـرى، كتراجع التنمية البشـرية، والتنمية غير المنصفة، والتهديد الأمني للتنمية البشرية،وتداعيات المرحلة الانتقالية.

في اليوم الأول قدمت أوراق لباحثين في الشـأن الاقتصـادي و السياسي والمجتمعي،والتي انصبت على مفاهيم ومبادئ المواطنة والتمكين والشراكة، الجلسة الاولـى لليوم الاول شهدت تقديم اربع اوراق.

لماذا تقرير التنمية البشرية للشباب

حـاولت الـورقـة الأولـى الـتـي قدمها الدكتور نهدي العلاق ان تركز على أهم التحديات التي تواجه الشباب، وما هي الحلول التي يمكن ان توضع للحد من هذه المعوقات. ويمكن الإشارة الى اهم التحديات التي اشارت اليها الورقة :

١. عدم وجود سياسات تشغيل مناسبة بإمكانها أن تخلق فرص عمل جديدة للشباب العاطل عن العمل بسبب ضعف الدور الذي يضطلع به القطاع الخاص وتدني كفاءته التنظيمية. كما أن تدني مستويات الاستثمار حد من امكانيات خلق فرص عمل جديدة تساهم في معالجة مشكلة البطالة.

٢. غياب السياسة الوطنية الشاملة الموجهة للقطاع الشبابي جعل الخدمات المقدمة للشباب تشوبها الضبابية مما أفرغها من محتواها وفوائدها المرجوة.

٣. التعدد والاختلاف في المؤسسات التي تقدم خدماتها للشباب أدى إلى غياب التنسيق وبعثرة الجهود مما يتطلب وجود منظومة شاملة ومترابطة ومتكاملة الأهداف والغايات سواء أكانت مؤسسات أم أفراد.

٤. محدودية الدور السياسي والمجتمعي المعطى للشباب.

٥. الخوف من المستقبل في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية غير المستقرة في البلاد. فمع ازدياد تكاليف المعيشة وارتفاع مستوى البطالة إلى غير ذلك، فان الكثير من هؤلاء الشباب يعيش قلقا كبيرا وهاجسا ضاغطا على مستقبله الوظيفي والحياتي.

٦. ضعف في تأهيل وخبرة الكادر المتخصص لإدارة المؤسسات الشبابية من الناحية الإدارية والفنية.

٧. ضعف العلاقة بين المؤسسات والمنتديات الشبابية مع مجالس المحافظات.

٨. النقص الكمي والنوعي في المرافق الرياضية والترفيهية للشباب من الجنسين والتفاوت بين المحافظات في توفير هذه المرافق.

٩. محدودية الموارد المالية المخصصة للأنشطة الشبابية واحتلالها مراتب متدنية ضمن الموازنة الاتحادية للدولة.

١٠. عدم توفير الأراضي الكافية لإنشاء مشاريع للشباب عليها.

١١. ضعف واضح في أداء الرياضيين يقابله ضعف ملحوظ في الجانب الثقافي والفني والعلمي الذي يكمل الأداء الرياضي ويساهم في اكتمال عناصر الشخصية لدى الشاب وصولا إلى تحقيق الانجاز المطلوب.

وعن تحقيق الأهـداف التي تتوخاها الجهات ذات العلاقة أشـارت ورقة الدكتور العلاق الى تشخيص مشكلات الشباب على نحو موضوعي وشامل من خلال دراسات معمقة وبناء قاعدة معلومات شاملة وقابلة للتطور. و إيجاد كل السبل الملائمة لدمج الشباب في حياة مجتمعهم، من خلال فرص التمكين والتشغيل، والتوعية، والبرامج الوقائية والعلاجية.و توفير مستلزمات تكوين الشباب لأسر جديدة. بالاضافة الى إيجاد تسهيلات تعليمية وثقافية للشباب لمن لا تتوفر لهم فرص التعليم النظامي أو الاعتيادي. و دراسة المشكلات التعليمية للشباب وخصوصاً في مرحلتي المتوسطة والإعدادية. فضلا عن تطوير المراكز التدريبية طبقاً لحاجات سوق العمل، وبما يوفر فرصاً واسعة لمشاركة الشباب في حياة مجتمعاتهم. و تعزيز دور الشباب في الأنشطة التعاونية، وبما يحقق فرص عمل جديدة.

الشباب والسياسة.. مداخل نظرية و إجرائية

الـورقـة الـثـانـيـة الـتـي قدمها الباحث الدكتور حيدر سعيد، والتي سلطت الضـوء علـى عـزوف الشـباب عن الاهتمام بالسياسة والشأن العام. وعـن الاسـبـاب الـتـي ادت الـى هذا العـزوف فقد رأى الباحث ان هناك متغيرين اثنين هما اللذان يحولان دون مشاركة الشباب، الاول هو ان النتيجة مستخلصة من مجتمعات تعيش تحت انظمة شمولية، تنعدم فيها حياة سياسية حقيقية، وليست فيها مؤشرات لأية تنمية سياسية... لا حياة حزبية، ولا انتخابات حرة، ولا وسائل مشاركة، ومساءلة، ورقابة شعبية، ولا إعـلام حـرا. ومـن ثـم لا يكـون عزوف الشباب عن السياسة ملمحا جيليا، يخص عمرية محددة،بقدر ما هو ملمح مجتمعي عام. اما المتغير الثاني، فهو ان مفهوم السياسة نفسه قد تحول، ففي العقدين الأخيرين يبدو ان السياسة لم تعد تقتصر على الدوران على الدولة، او ما يسمى (السلطة السياسية)، بل إنـها الآن تعني كل طاقات المجتمع في ادارة نفسه ذاتيا، من دون تدخل الدولة. وأشار حيدر سعيد في ورقته الى ان مفهوم المشاركة اخذ بالتوسع في الادبيات العالمية، ومنها التعريفات التي تعتمدها وتتبناها الامم المتحدة والمنظمات الدولية، الى ما هو ابعد من مفهوم المشاركة السياسية، بل انها اصبحت تعني كل طاقات المجتمع في ادارة نفسه ذاتيا، انها تعني اربعة اركان :

- اقتصادي، ويشمل العمل والتنمية
- سياسي، ويشمل عمليات صنع القرار
- اجتماعي، ويشمل الاهتمام بشؤون التجمعات
- ثـقافي، ويشمل الـفـنـون، والقيم الثقافية، ووسائل التعبير كافة.

وزير التخطيط علي يوسف الشكري

وهكذا، تمتد المشاركة في صنع القرار داخل الأسرة وصولا الى صنع القرار السياسي على المستوى الوطني. وأضاف سعيد في ورقته " لقد تحدث بعض الباحثين عن تراجع السياسي لصالح المدني بوصفه ظاهرة عالمية، وعـن تـحـول المـجـتـمـع المـدنـي إلـى قوة سياسية ذات دور حاسم في بناء الديمقراطية،وان الديمقراطية حسب الفرنسي روجيه سو بحاجة الى اكثر من مشاركة كل واحد فينا. عليها ان تنغرس في تفاصيل حياتنا اليومية، وهذا يبعد تخصيص السياسة ويعطي دوافـع لإيـجـاد أشكال أخـرى للعمل. ان المناخ السياسي تخلى عن مكانه للمناخ المدني او للعمل خارج سيطرة السياسة، وان الاحزاب باتت تتراجع والجمعيات تتقدم.

تمكين الشباب

الورقة الثالثة قدمتها الدكتورة امال شلاش التي عالجت موضوع تمكين الشباب، من خلال تشكيل واع ومثقف قادر على ان ينافس اقرانه من شباب الدول الاخرى، ويندمج معهم، ويتبادل خـبـرتـه وثـقـافـتـه مـع هـذا المحيط، وركزت الورقة على اهم الاسباب التي تحول دون مشاركة وتمكين الشباب، والتي توزعت على تراجع قيم التطوع والمشاركة والمسؤولية لدى الشباب، ليحل محلها اللامبالاة والخوف من السلطة، وفـقـدان الـثـقـة، والتمركز حـول الـذات والـرغـبـة فـي الهجرة، بالإضافة الى حدوث نوع من التفكك الاجتماعي والانفصال بين الشباب وبين المجتمع الذي يعيش فيه. وعن الاهـداف المبتغاة من تمكين الشباب اوضحت شلاش " ان سياسات وبرامج تمكين الشباب يجب ان تستهدف : تحقيق المشاركة المجتمعية للشباب بمعناها الواسع ونشر ثقافة المواطنة المسؤولة وثقافة الابـداع، وتطوير وتنمية المهارات الحياتية للشباب، وان يـتـم الـتـعـامـل مـع الـشـبـاب كفئة مجتمعية مساوية لكل الفئات الاخرى، وعدم التفكير بانهم عبء على المجتمع او مصدر خطر، بالاضافة الى العمل على اعداد الكوادر الشابة وبناء وعي جماهيري يؤمن بحرية الرأي. وعن الفئة العمرية المستهدفة من التمكين اوضحت الورقة المقدمة انها تستهدف الشباب في معناها الواسع، ويقصد بـهـا الـفـئـة مـن سـن ١٥ عـامـا وحتى ٢٩، والتي تقسم بدورها الى مراحل عمرية مختلفة، وذلـك لان كل مرحلة لها متطلباتها واحتياجاتها ووسائل التعامل معها، وهـي تقسم الـى ثلاث مراحل:

١- مرحلة المراهقة، من ١٥ – ١٩ عاما، وهي من اهـم واخـطـر المراحل التي ينبغي التعامل معها.

٢- مرحلة التعليم الجامعي والبحث عن عمل،من ٢٠- ٢٥ عاما، وهذه المرحلة تتسم بانهاء مرحلة التعليم، والبحث عن وظيفة.

٣- مرحلة النضج والاستقرار،من ٢٥- ٢٩ عاما، وهـذه المرحلة تتسم بمشاعر الإحـسـاس بـالـظـلـم والقهر وعدم الانتماء، والإحساس بالاغتراب والانفصال عن المجتمع، وملاحظة ان الادمان والسرقة والتطرف تتمثل بهذه الفئة العمرية، فضلا عن ان الشباب في هذه المرحلة يبحث عن البدائل، متمثلة في الـهـجـرة خـارج الـبـلاد مما يسبب خسارة الشباب المتعلم.

نحو سياسة تشغيل مناصرة للشباب

الورقة الرابعة قدمتها الدكتورة وفاء جعفر المهداوي، والتي تمحورت حول ثلاثة أبعاد، الاول رسم التحديات التي تـواجـه الشباب (تـحـديـات الطريق)، والثاني سياسات التشغيل (الاهداف الـغـائـبـة)، والـثـالـث إسـتـراتـيـجـيـة التشغيل (الطريق الـى الامـام)، ومما جـاء فـي الـرؤيـة بـهـذا الاتـجـاه (هو السعي باتجاه عدم جعل فئة الشباب فئة مستفيدة فقط، بل فاعلة في تنمية الاقـتـصـاد والـمـجـتـمـع)، وعـن طبيعة المعالجات التي طرحتها الورقة، فهي تعتقد ببناء سياسة تشغيل للشباب تنطلق في اهدافها ووسائلها من منهج الحق وليس من منهج اشباع الحاجات الاساسية.

وتعرضت المهداوي الى مفاصل مهمة فقد تناولت، الصورة الديموغرافية، وفق مؤشرات فئة السكان دون سن العمل، وفئة السكان في سن العمل، والـفـئـة الـتـي هـي خـارج سن العمل، ونسبة الشباب (الفئة العمرية من ١٥ – ٢٤) وفق احصائيات سنة ٢٠١٠، اضافة الى معدل النشاط الاقتصادي للذكور والاناث، ومعدل غير النشطين اقـتـصـاديـا. كما تـعـرضـت الـى سوق العمل، واشارت الى ان العراق يمتلك سوقين، الاول منظم، والثاني غير منظم (هامشي)، ومن نظرة مؤسساتية، فان سوق العمل العراقي يعد سوقا تقليديا ويخلو من التقنيات المتطورة، وان هناك انفصاما واضحا بين سوق العمل العـراقي، ومـخـرجـات التعليم بدلالة ارتـفـاع مـعـدلات بطالة الخريجين. وخلصت الورقة الـى التحديات التي تـواجـه تشغيل الشباب وعزتها الى غياب القوانين والتشريعات الخاصة بالعمل وبيئة العمل وعـدم مواكبة المسـتـجـدات الـتـكـنـولـوجـيـة وغياب برامج التأهيل والتدريب. وعن علاقة الأمن بالعوامل الاجتماعية، فقد أشارت الدكتورة المهداوي الى ان الاضطرابات السياسية تـتـلازم مع الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي فإنها تعمق من حالة إفقار المجتمع وخاصة الشباب، مما يؤدي الى ابعاد مبدأ المفاضلة التنموية لصالح جهود تحقيق الاستقرار والقضاء على الارهاب من خلال الموازنات الاتحادية.

اليوم الثاني للمؤتمر تم تقسيم الحضور الى ثلاث مجاميع (فوكس كروب)، وتم في هـذه المجاميع فتح بـاب الحوار امـام الشباب، وتـم التطرق فيها الى مفاهيم المشاركة والمواطنة والهوية اضافة الى تمكين الشباب والتشغيل، و تسجيل ثمة ملاحظات، فاننا يمكن ان نؤشر الى غياب المفاهيم بمعناها الحقيقي، اذ تم الخلط في المفاهيم بشكل كبير مما سبب إرباكا كبيرا في الاستخدام والتوظيف، اضافة إلى ان المجاميع الحوارية لم تكن منضبطة في تـحـديـد المفاهيم والـنـقـاط محط النقاش والحوار، اذ خلت من الأوراق التي يمكن ان تحصر النقاش، مما جعل الطروحات سائبة وغير منتظمة، ومما يمكن الإشـارة اليه ايضا هو الغياب الواضح لفئة الشباب محل المؤتمر، مما يعطي انطباعا ان الجهات المنظمة لم تفلح في الوصول الى هذه الفئة.

حضور سياسي واسع في المؤتمر